

الألفية الجديدة: التحديات والآمال

استحدثت مجلة العلوم الاجتماعية باب «الألفية الجديدة: التحديات والآمال» بهدف استطلاع آراء الباحثين والمفكرين، كل في ميدانه، حول ما يعتقدونه أبرز التحديات التي تواجه الإنسانية، فضلاً عن الآمال التي يرنون إليها ويتطلعون إلى تحقيقها مع قدوم الألفية الجديدة.

وقد قامت المجلة بنشر تلك الآراء تباعاً بدءاً من العدد (1) ربيع 2000. وتواصل المجلة في هذا العدد استكتاب طائفة بارزة من أهل العلم والفكر والثقافة.

عويد المشعان*

الألفية الجديدة التي نقف فيها عند نهاية عام مضى، ونتطلع إلى عام جديد، مستبشرين بقدومها، يحدونا الأمل والنظرة التفاؤلية بتحقيق آمال وتطلعات أجيالنا في الحفاظ على الكويت وعلى استقرار الأمن الاجتماعي والنفسي لمواطنيها في هذه الظروف بالغة التعقيد، وما يحيط بنا من ظروف إقليمية وعربية ودولية، وفي عصر يتسم بالتقدم التكنولوجي والقدرة المعلوماتية والمعرفة وما يفرضه من سيطرة القوى الصناعية المهنية، التي تحتل مركز الإنتاج والتحكم والتوظيف المعلوماتي، وغيرها من التحديات ذات الآثار الكوكبية الشاملة التي يتعرض لها إنسان القرن العشرين، وتفاقمت مع قدوم القرن الحادي والعشرين.

لقد أطلقت مسميات كثيرة على فترات من عمر البشرية ودلت هذه المسميات في معظم الأحيان على سمة تكنولوجية، فمنذ القرن التاسع عشر شهد العالم العصر الصناعي، وعصر الذرة، وعصر الفضاء، وعصر الحاسب الآلي، ثم عصر

* قسم علم النفس - جامعة الكويت.

المعلومات والاتصال، وتعكس كل منها إنجازاً بشرياً مبدعاً، وتكشف عن اختراع قد أحدث تأثيراً فاعلاً في حياة البشرية.

وعلى الرغم من هذا الذي تشهده البشرية، فإن الغالبية العظمى من البشر يزرحون تحت وطأة البدائية والتخلف، ومنهم من يشكون آلام الجوع والمرض، ويقاسون ويلات الحروب، ويعانون الضياع والتشرد وتقسيم أوطانهم أو احتلالها وتوزيعها على غيرهم.

كما ظهر عديد من الأمراض الاجتماعية، وزادت الآثار السلبية الناجمة عنها، وبخاصة ما يتعلق بنوعية الحياة، والعلاقات الأسرية واختلال توزيع الثروة، وازدياد العنف والجريمة المنظمة، والإرهاب والمخدرات، واهتزاز القيم الروحية والأخلاقية، ناهيك عن الفراغ الثقافي، والتلوث البيئي وغيرها من العلل القائمة حالياً والتي تتطلب استراتيجية عربية تكون قادرة على الوفاء بأدوار التعليم والتثقيف والتدريب وإعادة التأهيل على ما يتضمنه المستقبل بكل تداعياته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية.

وقضايا الكويت هي قضايا وطن وشعب ومع تعددها يجدر بنا تحديد القضايا الكبرى التي لها أهميتها وثقلها بين الآمال والطموحات في بناء كويت المستقبل. وفي مقدمة هذه القضايا قضية الأمن الوطني، وهي سياق كل القضايا التي تحتاج منا إلى تعميق مفاهيم الوحدة الوطنية وتعزيز روح المواطنة بما يحفظ للمواطن حيويته، ويغرس فيه حب الوطن والولاء له، ويقوي من عزمته ويثبت قلبه حفاظاً على وحدتنا وتماسكنا من الداخل لعدم زعزعتها، وبخاصة في المرحلة الراهنة، التي تعتبر فرصة مواتية نسعى فيها إلى تحقيق الشعور بالانتماء الخليجي والعربي وتأكيد مبادئ التكامل والإخاء للأمة الإسلامية، قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسُلُوا وَنَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾.

كما تفرض علينا التحديات المعاصرة للسلام بناء برنامج متكامل لبناء ثقافة السلام، وأمن الشعوب، ونزع السلاح، وصياغتها في برامج منظمة للتربية تضاها في أبعادها العنف نفسه، فإن سيادة السلام تعتبر عاملاً أساسياً في إحساس المواطنين بالأمن، وانتشار السلام في الدولة يساعد على تحقيق احتياجات المواطنين الأمنية، ومن ثم يساعد على توافر كل عناصر الحياة السليمة.

وننوه في هذا الصدد بقضية أساسية في كل النواحي، وهي قضية حقوق الإنسان التي يسلم اليوم بأنها لا تقبل التجزئة، ولا يمكن تصور السلام نفسه إلا في إطار من العدالة، والحرية أي مع احترام حقوق الإنسان والإرادة الحرة للشعوب، والسلام لا يعني انعدام الحروب وحسب، إذ لا يمكن أن يكون هناك سلام دائم إذا حرم بعض الأفراد من حقوقهم وحرّياتهم بصرف النظر عن انتماءاتهم العرقية والطائفية أو اختلافهم في الدين أو اللغة أو اللون أو الجنس، أو إذا تعرضت شعوب للقهر من قبل شعوب أخرى، أو رزحت جموع من السكان تحت وطأة البؤس، أو تعرضت لسوء التغذية أو المرض. وذلك مع توفير قدر من الحرية الشخصية، والحق في إبداء الرأي، والمشاركة الحقيقية في صنع القرار، وترسيخ مبادئ المساواة والديمقراطية وتقوية روح الانتماء الوطني بوصفها وسيلة لمواجهة سيطرة وفاعلية وسائل الإعلام التي تعمل على تقويض عوامل التمايز الثقافي والاجتماعي والأخلاقي والقيمي.

ولعل من أهم المتغيرات الدولية وانعكاساتها على المتغيرات الإقليمية هي الثورة المعلوماتية والمعرفية وما فرضته من سيطرة بفضل التحكم فيها باتجاه العولمة أو ما يسمى بالنظام العالمي الجديد.

يقصد بالعولمة ذلك النزوع الثقافي الذي يبدو في ظاهرة جديدة، تسمى بالنظام العالمي الجديد، أو يقال فيه إن العالم بات قرية واحدة انتهت معها الحدود الإقليمية ليسود مركز عالمي علمي وتقني واقتصادي وثقافي.

وتروج لهذا المفهوم الولايات المتحدة الأمريكية والشركات متعددة القوميات وتجد قرين ذلك نزوعاً آخر يدعو إلى حوار البحر المتوسط أو حوار الشمال والجنوب بين أوروبا وبلدان حوض البحر المتوسط وهي عربية، وبلدان إفريقية.

ويأتي هذا تعبيراً عن صراع خفي بين العولمة بمفهومها الأمريكي وبين سعي أوروبا بعامّة، وفرنسا أو الرابطة الفرنكفونية لخلق مجال قوة مناهض، ويأتي تحت عبارة شعار العولمة ونزوع باسم الشرق أوسطية الذي يهدف إلى فتح الحدود الشرق أوسطية وكذلك فتح الحدود الاقتصادية والثقافية بين جميع بلدان الشرق الأوسط وأولها إسرائيل، وغني عن الذكر طبيعة العلاقة بين إسرائيل والولايات المتحدة وانسجام الأدوار بينهما عسكرياً واقتصادياً وثقافياً.

وتتجه مظاهر العولمة إلى عولمة الثقافة أو نظام هندسة التحكم الاجتماعي

العالمي في سلوك المجتمعات، وشيوع قيم جديدة تؤكد مصلحة القوى المهيمنة. ويجدر بنا أن نميز بداية بين العولمة والعالمية في مجال الفكر العلمي والمنتج التقني العالمي والذي تجده كمثال تكنولوجيا الاتصالات والحاسوب والهندسة الوراثية والتشابك الاقتصادي، والعالمية بطبيعة الحال لا تنفي التنوع والتمايز والمنافسة والتكامل.

ونحن نعرف أن المعرفة العلمية أضحت نشاطاً إنتاجياً وإبداعياً في صورة شبكة عالمية، وأن التحكم في هذه الشبكة منوط بأصحاب القدرة على الإسهام في هذا النشاط الإنتاجي والإبداعي، ومن الأسف أن العرب، شأنهم في ذلك شأن بلدان العالم الثالث، خارج هذه الشبكة، وإنما القوة المتحكمة هي القوة الصناعية الأولى في العالم بجامعاتها ومراكز أبحاثها وإنتاجها التقني، إنها الغرب بكل متناقضاته، الذي يمثل مركز الإنتاج والتحكم والتوظيف المعلوماتي، وهو منهل المعارف والمعلومات العلمية سواء أكان ذلك في صورة كتب أم دوريات أو مراكز بحث وجامعات وشبكة اتصالات عالمية إلكترونية أو وكالات أنباء إلى كل ما يسهم في صناعة العقول أو التلاعب بها.

والحديث عن حرية انتقال المعلومات والتبادل الثقافي سيكون حديثاً لا معنى له حين يكون أحد الأطراف خالي الوفاض، عاطلاً عن العطاء لا يملك إلا ثقافة اجتماعية مقطوعة الصلة بحضارة العصر، مما يجعله في موقع الضعف والاستهلاك، وفي هذه الحالة ليس الموقف الصواب انزواء اجتماعياً أو اغتراباً في الزمان مع السلف، وليس ارتقاءً في أحضان الوافد القوي وإنما قبول التحدي.

لذلك فإن الاستجابة الصحية إزاء العولمة، أن نصوغ الخطط لدعم الاستقلال والحرية في إطار النسق الدولي للمعرفة وبالتعاون مع بلدان العالم الثالث. وأن يكون للبلدان العربية إسهام واضح ومميز وقابل للتكامل مع النسق العالمي للمعرفة ودعم التعاون الإقليمي العربي في هذا الاتجاه، وهو ما أشارت إليه اتفاقيات ثقافية وتعليمية وعلمية وعربية عديدة، وتخصيص القدر الأكبر من الموارد للبحوث والمراكز العلمية ولعمليات التطوير التجريبية والبرامج العلمية والتكنولوجية لتنهض بذلك مؤسسات تشكل منظومة متكاملة تكون قادرة على مواجهة الابتكار العلمي لإنتاج المعرفة وتوزيعها وتوظيفها اجتماعياً، ويتلزم ذلك مع تنمية الوعي العربي على المستوى الاجتماعي بحقيقة التحديات مهما غفلها بعض الناس، وهو ما يعني الحاجة الماسة

إلى عصر تنويري جديد يعبر عن مصالح الإنسانية مع عدم التضحية بالذات الثقافية وجعلها أساس قوة تساند التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتحديث.

ونعني بذلك الثقافة بمعناها الكامل باعتبارها عنصراً جوهرياً في حيوية أي مجتمع، فهي تشمل الأنشطة الإبداعية للشعب، وطرق إنتاجه وامتلاكه للسلع المادية، وأشكال تنظيماته، ومعتقداته، وأوقات فراغه، وآماله وأحلامه وانتصاراته، فضلاً عن وضع سياسات لها، وإعداد توجيهات تكميلية في مجالات أخرى من النشاط البشري ولا سيما في مجال التربية والتعليم والإعلام.

وعلىنا توظيف برامج الإعلام لتعزيز عملية توجيه الفرد نحو القيم والمواقف الإيجابية من متطلبات التنمية في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية وفي تأصيل الوعي الأساسي بالنهج الديمقراطي وما يرتبط بذلك من ضرورة إدراك المفاهيم الصحيحة للحقوق والواجبات ومواجهة مشكلات الشباب لا تعقيدها.

وتفرض هذه الأمور نفسها على الحدود التي تؤثر في تكوين المواطن، وفي مقدمتها التربية والتعليم وتنمية الموارد البشرية.

إننا لا نستطيع الحديث عن التربية والتعليم بمعزل عن كل ما يهم الوطن، فإن ملاحقة التطور واستشراف المستقبل يدفعنا إلى الفرع إلى التعليم وتطوير نظمته وتحسين مساراته ضمن نهضة شاملة وتنموية لا تنفصل عن النظرة المستقبلية المترابطة مع التنمية الاقتصادية والاجتماعية والأمنية.

إننا نأمل من التعليم أن يخدم الحاضر ويستجيب لتحديات المستقبل ويستلزم ذلك، أن يعد المواطن للمستقبل بكل منظومته، وتأثيراتها على مخرجاته وتوابعها كما وكيفاً لحاجات سوق العمل، والتدقيق في الارتقاء بالمضامين وذلك بالتأكيد على تحويل الاهتمام من التعليم إلى التعلم، ومن تلقي المعلومات إلى معالجتها، ومن أحادية المعلومات وانعزالية المقررات إلى وحدة المعرفة وتكاملها، ومن قصر الاعتماد على الكلمة المكتوبة بوصفها مصدراً للمعرفة إلى استخدام عديد من مصادر التعلم وأوعية المعرفة المكتوبة والمقروءة والمسموعة والمرئية، وحوسبة التعلم.

مثل هذا التعليم يستلزم سلامة النظرة إليه وتوظيفه واستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وما يرتبط بها من شبكات إلكترونية للارتقاء بالتدريب الذي يؤهل الأفراد لمواكبة التطورات والتعامل معها بصورة أكثر فاعلية وأعلى كفاءة.

وقضية التربية، وهي قضية بناء الإنسان والنمو به، قضية مركزية تضعها

الكبرى، كما أن لديها على الرغم من كل شيء قاعدة للتقدم وقوة للقهر لا تتوافر للدول العربية مجتمعة، وإسرائيل لا تمثل تهديداً لحلقة الدول المحيطة بها فحسب، بل لنطاق أكبر كثيراً يضم الدول العربية والإسلامية، ويستنزف كثيراً من طاقاتها المادية والبشرية. كما أن التهديد الخارجي قد يتمثل في أفعال ومواقف من دول عربية ضد دول عربية أخرى، إلى جانب المخاطر من دول خارجية، والمخاطر الأخيرة منها ما هو سياسي ومنها ما هو عسكري يرتبط بالأمن القومي، ومنها ما هو اقتصادي يتصل بالعملة.

أما عن الآمال التي قد تغير من الصورة، فيمكن أن نذكر منها ما يلي:

1 - أن تتجه دولنا العربية والإسلامية في تنظيمها الداخلي إلى ديموقراطية حقيقية وإمكانية تداول السلطة، وأن يصبح الوطن حقاً شركة بين المواطنين في ظل مساواة بين الأفراد مهما اختلفت أصولهم وعقائدهم.

2 - أن يترك العرب الحياة في الماضي، والبكاء على مجد قديم، وأن يتجهوا إلى صياغة أفضل للحاضر وإصرار على الدخول في المستقبل بروح جديدة تسعى إلى التقدم، ولن يكون ذلك إلا بالاتجاه إلى العلم واتخاذ منهجاً في الإدارة والتطور، ويجب هنا الالتفات إلى أن التعليم ونشره ليس مرادفاً للعلم الذي هو أكبر كثيراً من مجرد التعليم.

3 - لا بد من الاهتمام بالأجيال الجديدة، صاحبة المستقبل وصانعته، وهذا الاهتمام يتمثل في رعاية أكبر ترعى المواهب وتشجع التفوق، ولكن من مسؤوليات الآباء أن يكونوا قدوة في اتجاهاتهم وسلوكهم، ولا شك في أن إصلاح النظام التعليمي أمر له أهميته القصوى، وهنا تجدر الإشارة أيضاً إلى المساواة بين الإناث والذكور في فرص التعليم والعمل معاً.

4 - لا بد من العمل على إنشاء قاعدة علمية تقنية، والأمل هنا هو أن تكون هذه القاعدة ذات طابع قومي يشارك فيها أبناء الدول العربية جميعاً، وتسهم الدول العربية فيها بكل طاقاتها من علماء وتجهيزات وإنفاق، وأن يأخذ العلماء في المجتمع المكانة اللائقة.

5 - إذا كان العالم يتجه إلى كيانات كبيرة يتوحد فيها الاقتصاد كما رأينا في الاتحاد الأوروبي، أو تكتلات الدول الصناعية المتقدمة، فإن الوحدة الاقتصادية العربية

تصبح أمراً ملحاً، وقد طال انتظار هذا النوع من الوحدة، وربما يكون ذلك مقدمة لتحقيق وحدة أو اتحاد سياسي من نوع ما يكفل للجماعة العربية دوراً في الغد.

6 - لعل أحد المحاور المهمة التي يجب أن تكون مثاراً للاهتمام هو إنشاء «مؤسسة عربية لعلوم الصحراء» تسعى لاستثمار أكبر نطاق صحراوي في العالم باستخدام تكنولوجيا الغد من استخدام الطاقة الشمسية وتحلية المياه واستصلاح الأراضي وإعدادها للزراعة من أجل سد الفجوة الغذائية وإنتاج المواد الخام الزراعية، كما أن إنشاء مؤسسة عربية تعمل على الاستفادة من البترول الذي تحتل الدول العربية أكبر منتج ومصدر له في العالم، وتملك أكبر احتياطي مؤكد منه، وذلك بإنشاء صناعة بتروكيماوية عربية قوية، ولعل ذلك يتحقق في القرن الحادي والعشرين.

7 - إن حرية الكلمة وقبول الآخر وإنهاء مصادرة الفكر، وضمان حقوق الإنسان أمور لا بد منها ولن يحدث تحول إلى الأفضل إلا إذا سادت في مجتمعنا العربي والإسلامي.

محمود أحمد عمر*

ها نحن قد بدأنا قرناً جديداً من الألفية الثالثة، وقد هيمنت «العولمة» بإيجابياتها وسلبياتها على مختلف شعوب العالم وحكوماته، يحاول كل منها استثمار الإيجابيات لمصلحته تجنباً للتدهور والتخلف عن ركب الحضارة، ويسعى جاهداً في نفس الوقت إلى تجنب سلبياتها للمحافظة على هويته الثقافية والاجتماعية.

العولمة هي «عالم بلا حدود»، عالم مفتوح يهدف إلى تجريد الشعوب من حدودها الاقتصادية والعلمية والثقافية والاجتماعية، وهذا أخطر ما فيها، فلا وجود فيها لمعنى المحلية والإقليمية حتى القومية. وهي تفترض أن شعوب العالم عليها أن تنصاع للنظام الجديد الذي تحكمه بصفة أساسية اقتصادات السوق، الذي يدعونا نحن العرب والمسلمين، مثلما يدعو غيرنا، إلى التخلص من كل ما يربطنا معاً في قومية واحدة.

وقد ارتبط انتشار الأفكار الأساسية للعولمة وتأثيرها في مختلف شعوب العالم بالتقدم الرهيب في تكنولوجيا الاتصالات مما أتاح الفرصة لانتشار أفكار

* أستاذ ورئيس قسم علم النفس التربوي (الأسبق) بكلية التربية جامعة عين شمس، وكيل الكلية لشؤون التعليم والطلاب.

الآخرين المنتجين، وقيم المصدرين للمعرفة، وتأثيرها بل اجتياحها لقيم الشعوب الأقل تقدماً وأفكارهم وعاداتهم، وهم المستهلكون المستوردون للمعرفة والأفكار والثقافة التي غالباً ما تكون مختلفة عما يُشكل المنظومة القيمية للفرد المتلقي، وذلك قد يؤدي إلى تغير في انتماء الفرد إلى وطنه وولائه له، وتبني لمعتقدات وقيم جديدة دخيلة عليه. وهكذا يمكن لعولمة الإعلام مثلاً من خلال البث التلفزيوني الفضائي وشبكات الإنترنت وما تقدمه من معلومات منافية لقيمنا وعاداتنا التي جبلنا عليها أن تنال من الهوية الثقافية للوطن العربي.

ومما يؤسف له أن بريق العولمة قد دفع ببعض من الكتاب وأساتذة الجامعات إلى الدفاع عن العولمة بترويج أفكارها إلى حد وصف قيمنا ومعتقداتنا التي نؤمن بها والنابعة من ديننا بأنها «بالية»؛ أي أنها أصبحت جزءاً من الماضي ولا يجب التمسك بها، بل علينا أن نتخلى عنها وعلينا - من وجهة نظرهم - أن نتبنى القيم الجديدة الدخيلة الواردة إلينا من مجتمعات لها فلسفات في الحياة تختلف عن فلسفتنا النابعة من ديننا.

ويُعرّف كرتشفيلد وبلاشي Crutchfield & Ballache القيم بأنها اعتقاد دائم في أن طريقة معينة للسلوك تكون مفضلة على المستوى الشخصي أو الاجتماعي على طريقة أخرى مختلفة، وأن غاية ما للوجود تكون مقدّمة على غاية أخرى له. فالنظام القيمي هو تنظيم دائم نسبياً للمعتقدات المتصلة بالأساليب المفضلة للسلوك ولغايات الوجود. هكذا نجد أن القيم تؤثر على انتقاء أساليب العمل للفرد أو الجماعة وتؤثر أيضاً على وسائله وغاياته، وهي تحدد للإنسان ما هو حسن مقبول وما هو غير ذلك. إن الإنسان الذي يعيش بغير نسق قيمي قد يصبح "سيكوباتياً" وهو في حاجة ماسة إلى إطار من القيم.. إلى فلسفة في الحياة، إلى دين يعيش به ويتعامل من خلاله.

وللتربية بعامة والنظم التعليمية على وجه الخصوص في الوطن العربي دور مهم في إعداد النشء ليتمكن خلال القرن المقبل من الاستفادة بذكاء وموضوعية من كل ما يصل إليه من معارف في مجالات متباينة، وقيم وعادات قد لا تتفق مع ثقافة المجتمع العربي، بحيث يتجنب ما نراه اليوم لدى بعض الناس من مساهرة عمياء لفكر وسلوك يتنافيان مع ما اعتدنا عليه، ويتجنب أيضاً تبني قيم مغايرة لقيمنا الأصلية النابعة من الكتاب والسنة النبوية.

لذلك نحن في حاجة ماسة إلى مراجعة الاستراتيجية التربوية التي ننطلق منها بما يضمن المحافظة على هويتنا الثقافية، ويضمن أيضاً الإفادة من التقدم المذهل في الفكر والمعرفة. ويجب على النظم التعليمية أيضاً أن تطور من نفسها بحيث تتمكن من إعداد أجيال قادرة على توظيف مهارات عقلية فعالة منها التفكير الناقد، والقدرة على حل المشكلات، والقدرة على اتخاذ القرار، والقدرة على البحث والتقصي، والقدرة على الاختيار من بين البدائل المتاحة، والقدرة على تنظيم الوقت وإدارته، وغيرها من المهارات العقلية والأنشطة المعرفية التي تساعد المواطن العربي على أن يصبح مشاركاً في إنتاج المعرفة وتوظيف نتائجها.

على النظم التعليمية أيضاً أن تهتم بتربية الأفراد على بلوغ مستوى الإتقان في الأداء والعمل دون الرضا بمستوى التكرار أو الإجابة، بذلك يتمكن الأفراد من التعامل مع مختلف مناشط الحياة بفاعلية.

وعلى النظم التعليمية كذلك أن تعمل جاهدة بشتى السبل على تأكيد قيمنا الدينية وغرسها فكرياً وسلوكياً، وعلى الأسرة والمجتمع أن يسعياً لتأكيد نفس القيم وتدعيمها حتى نضمن لها الاستقرار النسبي في السلوك، فالاتساق بين جهود النظام التعليمي وجهود المجتمع والأسرة في هذا الشأن أمر مهم من أجل استمرار التغيرات السلوكية الممارسة والمعبرة عن هذه القيم.

ومع التقدم الهائل الحادث - والمتوقع - في تكنولوجيا المعلومات وما نتج عنه من زيادة غير مسبوقه في المعرفة، نجد أن النظم التعليمية عليها أن تواجه مشكلة أسلوب التعامل مع هذه المعرفة، وأعتقد أن تأكيد التعلم المتعدد الوسائط Multimedia Learning في المرحلة المقبلة يعد من المهام الرئيسة للنظم التعليمية؛ حيث تقدم المعلومات للمتعلمين بشكل أو أكثر كما يحدث عندما تقدم في شكل كلمات، أو أصوات، أو صور متحركة أو مزيج منها جميعاً أو من بعضها. وحتى تصمم عروض فعالة متعددة الوسائط علينا، أولاً، أن نجري الدراسات والبحوث عن الأسس السيكلوجية لكيفية فهم المتعلمين للمعلومات متعددة الأشكال وكيف يحدثون تكاملاً فعالاً بينها. وعلينا أيضاً أن نغنى بتطوير العمليات التي قد تؤدي دوراً مهماً في بيئة التعلم متعدد الوسائط كالانتباه، والمزاوجة matching، والانتقال transfer. ويجب ألا نغفل الإطار الثقافي والاجتماعي والقيمي لمجتمعاتنا عند الشروع في تصميم بيئة تعلم متعدد الوسائط لطلابنا.

مدحت عبدالحميد أبو زيد*

إذا كنا بصدد الحديث عن تحديات الألفية الجديدة وآمالها فلا غرو أن نقول إن التحديات ليست بمعزل عن الآمال.. فالتحدي أمل.. والأمل أيضاً تحد، وكل منهما يعد سبباً للآخر ونتيجة له.. علة ومعلولاً.. وجهان لعملة واحدة.. فلا تحدي دون أمل، ولا أمل دون تحد.. لذلك فلقد أصاب من تخير هذا الموضوع لنكتب فيه.

لقد غابت عنا ألفيتنا الثانية ورحلت بعد أن وضعت حملها.. ذاك الوليد المسمى بالألفية الثالثة المحمل بدوره بكم لا حصر له من مثيرات التحدي علناً نستوعبها ونهضمها ونستعد لمواجهتها والتعامل معها.. ويبدو أن ما حولنا ما هو إلا مثيرات لتلك التحديات فقط لكن دون تهيؤ حقيقي لدينا، ومنا، وبنا للتصدي له بوصفه عملية، وثقافة، ومنظومة.. حيث لا بد لنا أن يكون لدينا ما يؤهلنا للولوج في تلك العملية، وتلك الثقافة، وتلك المنظومة.. فهي ليست أرجوحة لعب ولهو متاحة للجميع، لا تنال بالتمني ولكن تؤخذ غلابا.

وأول تلك التحديات التي تحقق بنا هو ما نستله بذاك التساؤل: أهى ألفية جديدة أم قديمة؟ لأننا ما زلنا نلهث في إرث الغضب وحصاد الخسران منذ الألفية القديمة في كثير من مناحي حياتنا على الصعيدين العربي والعالمي. ولذلك نأمل أن نكف عن سلوكيات الغضب، وتنبه العدوان، والعدائية، والكراهية، والترشق حتى نفوز بحصاد يليق بألفية نأمل أن تكون جديدة.

لباس جديد للألفية الجديدة، ألا يبدو هذا منطقياً أن نعد حلة مناسبة نرتديها للألفية الجديدة يتكون نسيجها من منظومة قيمية نبدأ في اعتناقها على رأسها مخافة الله، وحفظ الثمين، وهجر الغث، ونبذ الرخيص، والاستبدال بالخطي المهتزة في مسار متاهي خطى ثابتة واثقة متحدية، في مسار محدد وهادف وواضح ومرئي والالتفات إلى متلازمة عوز المناعة الأخلاقية المكتسب توصلاً إلى مصل واق له، والكف عن رضاعة الأسى، واعتبار أن اللبن المسموم أشد وطأة من اللبن المسكوب.

إن التحديات المتربصة بنا متعددة الأبعاد والزوايا والأطر والمجالات، فمنها تحديات سياسية وقومية مثل: القضية الفلسطينية وتحرير القدس، ومنها تحديات

* أستاذ بقسم علم النفس بكلية الآداب، جامعة الاسكندرية، عمل استشارياً ورئيساً لقسم الصحة النفسية بمستشفى الأمل بجدة في الفترة بين (1992-1997)، معالج نفسي له عضويات مختلفة في عديد من الجمعيات الدولية المعنية بالاعتماد العقائري وعلاجه، له عديد من المؤلفات والبحوث.

اقتصادية مثل ضرورة العمل على رفع مستوى المعيشة وتحسين جودة الحياة، والسعي نحو سوق عربية مشتركة ووحدة اقتصادية عربية، وتحديات دينية مثل السعي نحو تحسين صورة الإسلام والمسلمين أمام المرأة الغربية، والعمل على ترسيخ الأصول الإسلامية القائمة على احترام الأديان لا صراع الأديان، وتحديات تنموية مثل السعي بخطى واسعة نحو التحرر من إطار الدول النامية، ولتكن الألفية الثالثة هي ألفية الأمة العربية للبناء والتشييد والنمو والازدهار والتقدم والحضارة، وتحديات علمية مثل تطوير مناهج التعليم على أسس إبداعية، وزيادة أدوات التقدم العلمي والتقني على أرقى مستوياته وزيادة المعامل، والمدارس، والحاسبات الآلية، وإنشاء قاعدة علمية عربية تضاهي، بل تفوق مثيلاتها في الغرب، وتحديات اجتماعية مثل ضرورة السعي نحو تبديد مفاهيم الاغتراب لدى الشباب، وإصلاح شأن الاسرة العربية لكي تكون نموذجاً لغيرها، والقضاء على ظاهرة أطفال الشوارع، وخفض إحصاءات الإدمان والاعتماد العقاقيري، وتحديات نفسية مثل الحد من ارتفاع إحصاءات الاضطرابات النفسية، والانحرافات النفسية، وأمراض القلوب وجمود الأحاسيس، وثقافة المرض، ومواجهة الذات، وتحديات روحية تتمثل في حاجتنا الماسة إلى التسامي، والتسامح، والإخاء، والود، والتراحم، والتأمل، والتروي، هذه هي مفردات الألفية الثالثة.. هذه هي خيوط نسيج اللباس الجديد.. لباس الوعي والفهم والمواجهة والحب والتكامل.

الثالثة «ثابتة».. هكذا قالوا في الأمثال.. لذلك إن لم نلتفت إلى ما فرطنا فيه، وما لم نوفق فيه، وإلى جوانب قصورنا، ونقصنا، وهشاشتنا الآن فلن نستطيع الفكاك من هذه الأعطاب التي علقنا بنا لأن الثالثة «ثابتة».. والوقت قصير، والفرص نادرة والإيقاع سريع.. والأمل في الانفلات مما نحن فيه سيكون بتجنب الرضا بثقافة التراخي والكسل و"الأناملية" والتصدي لوقر الآذان، وعصّب الأعين، وكسر أقفال القلوب وكف وأد الآمال.

أجندة جديدة للألفية الجديدة.. نحتاج إلى أجندة جديدة تساعدنا على الاستمتاع بالألفية الجديدة، تحتوي على قاموس جديد.. قاموس يقوم على ثقافة العمل، وثقافة الإنجاز، وثقافة الجهد، والتوظيف الجيد للطاقات، والتفعيل الجيد للمعايشات السلمية الحقبة النابذة للحروب والدمار وإنتاج نفايات بشرية، والضبط الجيد للذات، والدوافع المستهجنة، والتخلي بفلسفة الانتقاء، والتميز الناصح بين

الأمر والقضايا والمسائل والرؤى.. فليس كل ما يلمع ذهباً، وليس كل ناصع ناصحاً، وليس كل ما على المائدة طعاماً، وليس كل طعام يؤكل أو يستساغ.

مسميات ما أنزل الله بها من سلطان.. تبزغ علينا ألفيتنا الثالثة بمسميات كثيرة مثيرة للقلق مثل: الاستنساخ.. أليس من الأحرى أن يكون اقتداء بدلاً من الاستنساخ، فالإقتداء سلوك أخلاقي لاتباع محاسن قدوة ومثل أعلى، وعولمة تتشدد بها ألفيتنا المسكينة.. والأحرى أن نتحلى بالحذر والحيلة وأخلاقيات العلم والبحث والدرس حتى تصبح فعلاً عولمة تليق بنا وحتى لا تنقلب إلى جوهلة.. فضلاً عن صراع الحضارات. ولست أدري منذ متى تتصارع الحضارات؟.. وهل ينبغي لها أن تتصارع؟ وكيف وهي.. حضارات؟

والتساؤلات الملحة التي يتعين علينا تدبرها وهي كثيرة متكاثرة مثل:

ألا تكفي ثورات الطبيعة من زلازل وبراكين وأعاصير وفيضانات وسيول وثقب أوزون لعدول الإنسان عن عدوانه، ولصالح من اختلاق الأزمات والإشكاليات وإشعال الفتن وآخرها محاولة تشويه صورة الإسلام والتلاعب بالآفاظ مثل الإرهاب، وطبول حروب وشيكة البدء، وأنصال تبرق. أهذا هو الجديد في الألفية الجديدة؟!

هذه هي التحديات وما ينبثق عنها من آمال للتغلب على آثارها السلبية ولا سبيل إلى ذلك إلا بمزيد من الاقتراب إلى الله، والاقتراب من النفس، وبذل المزيد من الجهد والسعي ومراعاة الضمير، وزيادة الوعي والالحاق بركب العلم مع توخي محاذيره والالتفات إلى الأخلاقيات والروحانيات والمثل، فهي نخاع المعيشة الكريمة لأمة عربية كريمة شديدة البأس واثقة متحدية آملة شاملة، يسعى نورها بين يديها ولها كل عنان السماء.

